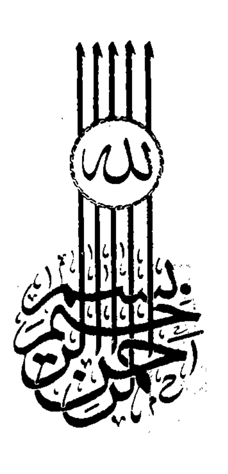
القــول الجلى

فى ترجمة الشيـخ تقى الدين بن تيمية الحنبلى

للعالم العلامة ، والمحدث الفهامة ، السيد صفى الدين
الحنفى البخارى ، نزيل نابلس عليه رحمة
الكريم البارى مع تقريظه

دار لينة للنشر والتوزيع
دمنهورت ٣٢٨١٩٩

تطلب جميـع منشوراتنـا مـن مكتبة أضـواء المنار
بالمدينة المنورة شارع الملك عبد العزيز هاتف ٨٣٧٠١٨٥


بسم الله الرحمن الرحيم

القول الجلى

ى ترجمة الشيخ تقى الدين بن تيمية الحنبلى



دسهور ت ٣٢٨١٩٩ /٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام العلامة المحدث السيد صفى الدين الحنفى البخارى نزيل نابلس رحمه الله تعالى الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد) فهذا جزء لطيف في ترجمة شيخ الإسلام وبركة الأنام علم الزهاد وأوحد العباد سيد الحفاظ وفارس المعانى والألفاظ تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن الخضر بن محمد بن الخضر بن تيمية الحرانى نزيل دمشق رحمه الله تعالى لخصته مما اجتمع عندى من كلام الفقهاء والمحدثين رجاء للثواب ونفعا للأحباب (**وسميته**) القول الجلى في ترجمة الشيخ تقى الدين بن تيمية الحنبلى (**فأقول**) وبالله التوفيق ولد رحمه الله تعالى فى عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع فى التفسير وأفتى ودرس وله نحو العشرين وصنف التصانيف وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه وله المصنفات الكبار التى سارت بها الركبان ولعل تصانيفه فى هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراسة وأكثر وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين وكان يتوقد ذكاء وسمع من الحديث أكثره وشيوخه أكثر من مائتى

شيخ ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى وحفظ الحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه * وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير وأما معرفته بالملل والنحل فلا أعلم له فيها نظيرا ويدري جملة صالحة من اللغة وعربيته قوية جداً ومعرفته بالتفسير والتاريخ فعجب عجيب انتهى ملخصا من كلام شيخ الإسلام أبي عبد الله الذهبي فيما نقله عنه الحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي * قال الحافظ الذهبي الدمشقي الشافعي الذى قال فيه الحافظ بن حجر هو من أهل الاستقراء التام في نقده الرجال وتبعه على ذلك الحافظ السيوطى فيما نقله الحافظ بن ناصر الدين المذكور وهو يعنى الحافظ بن تيمية أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت إنى ما رأيت بعينى مثله ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم وقال الحافظ شمس الدين السخاوى الشافعي في فتاواه في حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفى حديث كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين حيث أجاب باعتماده كلام ابن تيمية فى وضع اللفظين وناهيك به اطلاعا وحفظا أقر له بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبى ما رأيت أشد استحضارا للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة * وقال حافظ الإسلام الحبر النبيل استاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الركن عبد الرحمن المزى الشافعى فيما نقله عنه الحافظ بن ناصر

الدين ما رأيت مثله يعنى ابن تيمية ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لهما منه انتهى وقد تقدم عن الحافظ الذهبى نحوه وناهيك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المستوعبين أبى الحجاج المزى وأبي عبد الله الذهبي * وقال الشيخ الإمام بقية المجتهدين تقى الدين بن دقيق العيد الشافعى لما أجتمع به وسمع كلامه كنت أظن أن الله تعالى ما بقى يخلق مثلك * وقال أيضا رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد ذكره الحافظ المذكور * وقال الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعى وبالجملة كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء وممن يخطئ ويصيب ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة فى بحر لجى وخطؤه أيضا مغفور له لما صح في صحيح البخاري إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر * وقال الإمام مالك بن أنس كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم وما قاله فى غاية الحسن والحافظ المذكور ثقة حجة باتفاق وقد ترجمه الحافظ بن حجر بترجمة جليلة جدا فلا التفات إلى ما نقله عنه الشيخ تقى الدين الحصني نعم كان يقول بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق فأوذى بسببه ومع أنه خالف الأئمة الأربعة في ذلك فلم يتفرد به كما هو مبين فى موضعه وهو إن كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسيق فافهم (فإن قلت) ما ذكره الإمام الحافظ بن كثير مبنى على أن الشيخ قد بلغ رتبة الاجتهاد وأنى له بهذه المرتبة وقد انقطع الاجتهاد من زمان طويل (قلت) قد نص

على أنه بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء منهم الإمام أبو عبد الله الذهبى فيما ذكره ابن ناصر والحافظ بن حجر كما سيأتي والحافظ السيوطى فى طبقات الحفاظ فيما أحفظ ولم يتفرد بمسئلة منكرة قط وإن كان قد خالف الأئمة الأربعة فى مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين ومن أشنع ما وقع له مسئلة تحريم السفر إلى زيارة القبور وقد قال به قبله أبو عبد الله بن بطة الحنبلى فى الإبانة الصغرى وسنذكره عن قريب إن شاء الله تعالى * وقال الحافظ بن حجر فيما كتبه على الرد الوافر لشيخ الإسلام الحافظ الهمام بن ناصر الدين الدمشقى الشافعى ما نصه ولقد قام على الشيخ تقى الدين جماعة مرارا بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا أفتى بسفك دمه مع شدة المتعصبين عليه رحمه الله من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم بالإسكندرية ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وكثرة ورعه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام والدعاء إلى الله في السر والعلانية فكيف لا ينكر على من أطلق عليه أنه كافر بل من أطلق على من سماه بشيخ الإسلام الكفر وليس فى تسميته بذلك ما يقتضى ذلك فإنه شيخ الإسلام بلا ريب والمسائل التى أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهى ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرى منه ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب فالذى أصاب

فيه وهو الأكثر يستفاد منه ويترحم عليه بسببه والذى أخطأ فيه لا يقلد فيه أى كمسئلة الزيارة والطلاق بل هو معذور لأن أئمة عصره شهدوا بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتعصبين عليه والقائمين فى إيصال الشر إليه وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني يشهد له بذلك وكذا الشيخ صدر الدين بن الوكيل الذى لم يثبت لمناظرته غيره * ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم الناس قياما على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية وتصانيفه فى ذلك كثيرة شهيرة وفتاواه فيهم لا تدخل تحت الحصر فياقرة أعينهم إذا سمعوا تكفيره وياسرورهم إذا رأوا من يكفره من أهل العلم فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة أو من السنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر من ذلك على قصد النصح ويثني عليه بقضائه فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء ولو لم يكن للشيخ تقى الدين من المناقب إلا تلميذه الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التى انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية فى الدلالة على عظم منزلته فكيف وقد شهد له بالتقدم فى العلوم والتميز فى المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة [1] فالذى يطلق عليه مع هذه الأشياء الكفر أو على من سماه شيخ الإسلام لا يلتفت إليه ولا يعول في هذا المقام عليه بل

---

(١) ومما وجد فى كتاب كتبه قاضى القضاة أبو الحسن السبكي إلى الحافظ الذهبي في حق الشيخ تقى الدين ما صورته وأما قول سيدي فى الشيخ فالمملوك متحقق كبر قدره وزخارة =

يجب ردعــه عن ذلك إلى أن يراجع الحق ويـذعن للصـواب والله يقـول الحق وهو يهدى السبيل حسـبنا الله ونعم الوكيل (وقال) شيخ الإسلام صالح بن شـيخ الإسلام عـمر البلقينى رحـمه الله تعـالى فيمـا كتبه على الكتاب المذكـور ولقد افتخـر قاضى القضـاة تاج الدين السبكى في ثناء الأئمـة عليـه بأن الحـافظ المزي لم يـكتب لفظة شـيخ الإسـلام إلا لأبيـه وللشيخ تقي الديـن بن تيمية ولـلشيخ شمس الدين أبى عـمر فلولا أن ابن تيـميـة في غاية العلو في العلـم والعمل مـا قرن ابن السـبكي أباه معـه في هذه المنقبـة التى نقلها ولو كـان ابن تيميـة مبتدعا أو زنديقـا ما رضى أن يكون أبوه قـرينا له نعم قد ينسـب الشيخ تقى الدين لأشـياء أنكرها عليـه معارضـوه وانتـصب للرد عليـه الشيخ تقي الدين السـبكى في مـسئلتى الزيارة والطلاق وأفـرد كل منهـمـا بتـصنيف ليس فى ذلك مـا يقـتـضي كفره ولا زندقته أصلا وكل أحـد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبـر والسعيد من عـدت غلطاته وانحصرت سـقطاته ثم إن الظن بالشيخ تقى الدين أنه لم يصـدر ذلك منه تهورا وعـدوانا حاشـا لله بل لعله لرأى

= بحره وتوسـعه في العلوم الشـرعيـة والعقلية وفـرط ذكائه واجـتهاده وبلوغـه فى كل من ذلك المبلغ الذي يتـجاوز الوصـف والمملـوك يقول ذلك دائمـا وقدره فى نفـسي أكبـر من ذلك وأجل مع ما جـمع الله له من الورع والزهادة والديانة ونصرة الحـق والقيام فـيه لا لغرض سـواه وجريه على سنن السـلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان انتهى من شرح ألفيـة الحافظ بن ناصر الدين الدمشقى الشـافعى في التاريخ له رحـمـهم الله تعالى كذا نقلته من خط الإمام أبي الطيب العلامة الرئيس السيد صديق حسن خان أبقاه الله تعالى *

كاتبه الحقير الفقير أبو الشرف محمد بن ا لشيخ حسين الأنصاري عفا الله عنهما أ هـ من هامش الأصل .

رآه وأقام عليه برهانا ولم نقف إلى الآن بعد التتبع والفحص على شئ من كلامه يقتضى كفره ولا زندقته إنما وقفت على مارده على أهل البدع والأهواء أو غير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلو مرتبته فى العلم والدين وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين قال الله تعالى ﴿ **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا وفى رواية حق كبيرنا وكيف يجوز أن يقدم على رمى عالم بفسق أو كفر ولم يكن ذلك فيه انتهى (قلت) وسنذكر إن شاء الله تعالى قريبا ما يكون صريحا فى تنزيهه عما نسب إليه من التشبيه والتجسيم وقال قاضى القضاة عبد الله التفهني الحنفي عامله الله بلطفه الخفي فيما كتبه على الكتاب المذكور أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان على ما نقل إلينا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن قيم الجوزية الذي سارت تصانيفه فى الآفاق عالما متقنا متفننا متقللا من الدنيا معرضا عنها متمكنا من إقامة الأدلة على الخصوم وحافظا للسنة عارفا بطرقها عالما بالأصلين أصول الدين وأصول الفقه قادرا على الاستنباط فى تخريج المعاني لا يلومه في الله لومة لائم على أهل البدع المجسمة والحلولية والمعتزلة والروافض وغيرهم قال فمن كان متصفا بهذه الأوصاف كيف لا يلقب بشيخ الإسلام بأي معنى أريد منه قال وإنما قام عليه بعض العلماء فى مسئلتي الزيارة والطلاق وقضية من قام عليه مشهورة والمسئلتان المذكورتان ليستا من أصول الإيمان وإنما هما من فروع الشريعة

التى أجمع العلماء على أن المخطئ فيها مجتهدا يثاب لا يكفر ولا يفسق إلى آخر ما قال * وقال شيخ الإسلام العينى الحنفى فيما كتب على الكتاب المذكور وما هم أى المنكرون على ابن تيمية رحمه الله تعالى الا صلقع بلقع سلقع والمكفر منهم صلمغة بن قلمعة وهيان بن بيان وهى بن بي وضل بن ضل وضلال ابن التلال ومن الشائع المستفيض أن الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية من شم عرانين الأفاضل ومن جم براهين الأماثل قال وهو الذاب عن الدين طعن الزنادقة والملحدين والناقد للمرويات عن النبي سيد المرسلين وللمأثورات عن الصحابة والتابعين فمن قال أنه كافر فهو كافر حقيق ومن نسبه إلى الزندقة فهو زنديق وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه إلى الآفاق وليس فيها شئ مما يدل على الزيغ والشقاق ولم يكن بحثه فيما صدر عنه فى مسئلتى الزيارة والطلاق إلا عن اجتهاد سائغ بالاتفاق والمجتهد فى الحالين مأجور مثاب وليس فيه شئ مما يذم أو يعاب قال ولا ريب أنه كان شيخا لجماعة من علماء الإسلام ولتلامذة من فقهاء الأنام فإذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الإسلام لأن من كان شيخا للمسلمين يكون شيخا للإسلام * وقال شيخ الإسلام البساطي المالكي وأما قول من قال أنه يعني ابن تيمية كافر وأن من قال فى حقه أنه شيخ الإسلام كافر فهذه مقالة تقشعر منها الجلود وتذوب لسماعها القلوب ويضحك إبليس اللعين عجبا بها ويشمت وتنشرح لها أفئدة المخالفين وتتثبت ثم يقال له لو فرضنا إنك اطلعت على ما يقتضى هذا فى حقه فما مستندك في الكلام الثاني

وكيف تصح لك هذه الكلية المتناولة لمن سبقك ولمن هو آت بعدك إلى يوم القيامة وهل يمكنك أن تدعى أن الكل اطلعوا على ما اطلعت أنت عليه وهل هذا إلا استخفاف بالحكام وعدم مبالاة ببنى الأيام والواجب أن يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك فإن أتى بوجه لا يخرج به شرعا عن العهدة بأن كان واهيا برح به تبريحا يردع أمثاله عن الإقدام على أعراض المسلمين اهـ (قلت) فتأمل رحمك الله كلام هؤلاء الأعلام في مدح هذا الإمام فكيف ينسب إلى بدعة التجسيم أو يعاب بشئ غير ذلك أو يلام .

(فصل في ذكر شئ من كلام الشيخ فيما يتعلق بالعقيدة)

قال الشيخ رحمه الله تعالى في عقيدته الواسطية ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل (قلت) وتفسير كلامه أنه يجب الإيمان بجميع المتشابهات الواردة في الكتاب والسنة كاليد والوجه والاستواء والنزول على وجه يليق به تعالى فلا يكيف بشئ منها ولا يمثل بصفات المخلوقين كما هو مذهب السلف ومن تبعهم من الخلف فلا يقال يد كيدنا أو وجه كوجهنا أو استواء كاستوائنا أو نزول كنزولنا بل يداه صفته بلا كيف وكذا وجهه وهكذا فقس في سائر الصفات والأفعال فقوله من غير تكييف ولا تمثيل ينفى كل باطل وقد ذكر الشيخ هذا القول في غير موضع ومقصوده بذلك نفي الجهة

والجسمية * وقال الشيخ في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أمر الاعتقاد اعتقاد السنة والجماعة الإيمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وأن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود والإيمان بأن الله خالق كل شئ من أفعال العباد وغيرها وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها ونهى عن المعصية وكرهها والعبد فاعل حقيقة والله خالق فعله وأن الإيمان والدين قول وعمل يزيد وينقص وأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بالذنوب ولا نخلد في النار من أهل الإيمان أحداً وأن الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله تعالى عنهم ومرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في الخلافة ومن قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار (قلت) فهذه العقيدة بعينها عقيدة السلف والأئمة الأربعة والماتريدية والأشاعرة إلا أن الماتريدية خالفوه في قوله يزيد وينقص والأشاعرة أثبتوا بعض الصفات كالسمع والبصر وأولوا الكلام في نحو اليد والوجه وسنذكر إن شاء الله تعالى كلام أصحابنا في حكم المتشابه وكذا كلام الأشاعرة فيه فستراه موافقا لكلام هذا الإمام * وقال الشيخ فيما نقله عنه الحافظ بن ناصر الدين في الرد الوافر ومذهب السلف والأئمة الأربعة وغيرهم إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل وليس لأحد أن يضع عقيدة ولا عبارة من عند نفسه بل عليه أن يتبع ولا يبتدع ويقتدى ولا يبتدي وقال الشيخ فيما نقله عنه شيخ الإسلام العيني ما نصه ومن جملة ما سئل عنه أي ابن

تيمية وهو على كرسيه يعظ الناس والمجلس غاص بأهله في رجل يقول ليس إلا الله ويقول الله في كل مكان هل هو كفر أم إيمان فأجاب على الفور من قال أن الله تعالى بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع المسلمين بل هو مخالف للملل الثلاث بل الخالق سبحانه وتعالى بائن من المخلوقات ليس في مخلوقاته شئ من ذاته ولا في ذاته شئ من مخلوقاته بل هو الغنى عنها البائن بنفسه منها وقد اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر أئمة الدين أن قوله تعالى ﴿ **وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾ ليس معناه أنه مختلط بالمخلوقات وحال فيها ولا أنه بذاته في كل مكان بل هو سبحانه وتعالى مع كل شئ بعلمه وقدرته ونحو ذلك فالله سبحانه وتعالى مع العبد أينما كان يسمع كلامه ويرى أفعاله ويعلم سره ونجواه رقيب عليهم مهيمن عليهم بل السموات والأرض وما بينهما كل ذلك مخلوق لله تعالى ليس الله بحال في شئ منها ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** ﴾ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله بل يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل فلا تمثل صفاته بصفات خلقه ومذهب السلف إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل وقد سئل الإمام مالك رضى الله عنه عن قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة قال العينى فهذا الإمام كما رأيت عقيدته وكاشفت سريرته فمن كان على هذه

العقيدة كيف ينسب لله الحلول والاتحاد والتجسيم أو ما يذهب إليه أهل الإلحاد انتهى * وقال في كتاب الرد على النصارى وهو من كتبه المشهورة أن الله تعالى إذا أضاف إلى نفسه ما أضافه إضافة يختص بها ويمتنع أن يدخل فيها شئ من خصائص المخلوقين وقد قال مع ذلك أنه ليس كمثله شئ وأنه لم يكن له كفواً أحد وأنكر أن يكون له سمىّ فإن من فهم من هذه ما يختص به المخلوق قد أتى من سوء فهمه ونقص عقله لا من قصور في بيان الله ورسوله ولا فرق في ذلك بين صفة وصفة فمن فهم من علم الله ما يختص به المخلوق من أنه عرض محدث باضطراب أو اكتساب فمن نفسه أتى وليس في قولنا علم الله ما يدل على ذلك وكذلك من فهم من قوله ﴿ **بل يداه مبسوطتان** ﴾ ﴿ **وما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى** ﴾ ما يختص بالمخلوق من جوارحه وأعضائه فمن نفسه أتى فليس فى ظاهر هذا اللفظ ما يدل على ما يختص به المخلوق كما فى سائر الصفات وكذلك إذا قال ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ من فهم من ذلك ما يختص بالمخلوق كما يفهم من قوله تعالى ﴿ **فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك** ﴾ فمن نفسه أتى فظاهر اللفظ يدل على استواء يضاف إلى الله تعالى كما يدل فى تلك الآية على استواء يضاف إلى العبد وإذا كان المستوى ليس مماثلا للمستوى لم يكن الاستواء مماثلا للاستواء وإذا كان العبد فقيرا إلى ما استوى عليه محتاجا إلى حمله وكان الرب غنيا عن كل ما سواه والعرش وما سواه فقيرا لله وهو الذي يحمل العرش وحملة العرش لم يلزم أن يكون إذا كان الفقير محتاجا

إلى ما استوى عليه الغنى أن يكون الغنى عن كل شئ و كل شئ محتاج إليه محتاجا إلى ما استوى عليه وليس فى ظاهر كلام الله ما يدل على ما يختص به المخلوق من حاجة إلى حامل وغير ذلك بل توهم هذا من سوء الفهم لا من دلالة اللفظ لكن إذا تخيل المتخيل فى نفسه أن الله مثله تخيل أن يكون استواؤه كاستوائه وإذا عرفت أن الله ليس كمثله شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله علم أن استواءه ليس كاستوائه ولا مجيئه كمجيئه كما أن علمه وقدرته ورضاه وغضبه ليس كعلمه وقدرته ورضاه وغضبه وما بين الأسماء من المعنى العام الكلى كما بين قولنا حى حى وعالم عالم وهذا المعنى الكلى العام المشترك لا يوجد عاما كليا مشتركا إلا فى العلم والذهن وإلا فالذى خارج أمر يختص بالموصوف فصفات الرب مختصة به وصفات المخلوق مختصة به ليس بينهما اشتراك ولا بين مخلوق ومخلوق وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور والذى اتفقت عليه الرسل وأتباعهم ما جاء به القرآن والتوراة من أن الله موصوف بصفات الكمال وأن ليس كمثله شئ فلا تمثل صفاته بصفات المخلوقين مع إثبات ما أثبته لنفسه من الصفات ولا يدخل في صفاته ما ليس منها ولا يخرج منها ما هو داخل فيها وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور مخاطبا للنصارى أن المسلمين أطلقوا ألفاظ النصوص وأنتم أطلقتم ألفاظا لم يرد بها نص والمسلمون قد قرنوا بتلك الألفاظ ما جاء به النص من نفى التمثيل وأنتم لم تقرنوا بألفاظكم ما ينفى ما أثبتموه من التثليث والاتحاد وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور أن غلاة

المجسمة الذين يكفرهم المسلمون أحسن حالا منكم عقلا وشرعا وهم أقل مخالفة للشرع والعقل منكم وإذا كان هؤلاء خيراً منكم فكيف تشبهون أنفسكم بمن هو خير من هؤلاء من أهل السنة فى المسلمين الذين لا يقولون لا تمثيل أعدل وأقل كفرا من النصارى ثم قال وتقول الغلاة من هؤلاء الذين يكفرهم أئمة المسلمين وجمهورهم الذين يحكى عنهم أن الله تعالى ينزل إلى الأرض عشية عرفة فيعانق المشاة ويصافح الركبان وأنه يتمشى في الأرض يكون موطئ أقدامه مروجا ونحو ذلك ثم قال ومن غلاة المجسمة اليهود من يحكى عنه أنه قال أن الله بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة وأنه ندم حتى عض يده وجرى منها الدم وهذا كفر واضح فانظر رحمك الله تعالى إلى هذه النصوص الصريحة فى تكفير المجسمة فكيف ينسب التجسيم إلى من يكفر المجسمة قوله غلاة المجسمة وهم الذين يقولون أن الله جسم كالأجسام وأما من قال أن الله تعالى جسم لا كالأجسام فليس بكافر عند الجمهور بل هو ضال مبتدع .

فصل

إذا عرفت كلامه فى العقيدة مما يتعلق بالصفات فلا بأس بأن نذكر لك من كلام غيره من السلف والخلف ما يوافق كلامه فنقول وبالله التوفيق قال الإمام الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي رحمه الله تعالى فى عقيدته التى قال فى أولها هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة

والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به لرب العالمين ما نصه والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ وتفسيره على ما أراد الله تعالى أو علمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كما قال ومعناه كما أراد لا ندخل فى ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم فى دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظاهر التسليم والاستسلام ثم قال ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المرسلين ومن لم يتوق النفى والتشبيه زل ولم يصب التنزيه قلت فهذا اعتقادنا سلفا وخلفا كما بيناه فى جزء مفرد ونقلنا فيه نصوص أئمتنا من السلف والخلف على نحو ما ذكرناه ورويناه فيه على من زعم من أهل عصرنا أن أصحابنا الماتريدية يقولون بالتأويل وقال الشيخ الإمام إبراهيم ابن حسن الكردى المدني الشافعي فى اتحاف الذكاء بشرح التحفة المرسلة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما نصه الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى الإمام فى أصول الدين رحمه الله تعالى وشكر سعيه سلك هذه الطريقة أعنى

الإيمان بالمتشابهات مع التنزيه بليس كمثله شئ فى كتابه المسمى بالإبانة فى أصول الديانة وهو آخر مصنفاته والمعول عليه من بين كتبه كما ذكره الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر الشافعى فى تبيين كذب المفترى والحافظ بن تيمية فى الفتاوى التدمرية فلنورد منه ما يقتضيه المقام إزاحة لشبهات أهل الأوهام فنقول وبالله التوفيق قال فى الإبانة قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسوله وما جاء به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نرد من ذلك شيئا وأن الله مستوٍ على عرشه كما قال ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾ وأن له وجها كما قال﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ وأن له يدين بلا كيف كما قال ﴿ **بل يداه مبسوطتان** ﴾ وقال ل﴿**ما خلقت بيدى** ﴾ وأن له عينين بلا كيف كما قال ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج وندين أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمن كما جاءت الروايات عن رسول الله صلي عليه وسلم وأن الله تجلى للجبل فجعله دكا وندين بأنه يقلب القلوب وأن القلوب بين إصبعين من أصابعه ونصدق بجميع الروايات التى أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا وأن الرب يقول هل من سائل أهل من مستغفر وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قاله أهل الزيغ والتضليل ونعوّل فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم

وإجماع المسلمين وما كان في معناه ولا نبتدع فى دين الله بدعة لم يأذن الله بها ولا نقول على اللـه ما لا نعلم ونقول أن الله يجئ يوم القيامـة كما قال ﴿ **وجاء ربك والملك صفا صفا** ﴾ . وأن الله تعالى يقـرب من عباده كيف يشاء كـما قال ﴿ **ونحن أقرب إليـه من حبل الوريد** ﴾ وكما قال ﴿ **ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ انتهى مـا يتعلق الغـرض بنقـله ملتـقطا قـال منـلا إبراهيم وفـيـه تصـريح بالإيمـان بجـميع المتشابهات الواردة فى الكتـاب والسنة على الوجه اللائق بجلال ذات الله تعالى كمـا يدل عليه قوله بلا كيف في اليدين والعينين وقـوله كيف يشاء في القــرب من عـباده وقـال الحافظ ابن حـجـر فى فتح البـاري واستـدل اللالكائي عن مـحـمد بـن الحسن الشـيـبـاني قال اتفق الـفقـهـاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحـاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى صفة الـرب من غير تشبيه ولا تفسـير فمن فسـر شئ منها أو قال بقـول جهم فقـد خرج عما كـان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفـة لا شئ ومن طريق الوليد بن مـسلم عنهم سألت الأوزاعـى ومالكا وليث بن سعد عن الأحاديث التى فيها الصفات فقالوا أمرها كما جاءت بلا كيف وأخـرج ابن أبى حاتم فى مناقـب الإمام الشافـعي عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها ومن خالف بـعد ثبوت الحـجة عليـه كفـر وأما قبل قـيام الحـجة فـإنه يعذر بالجـهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعـقل ولا بالروية ولا الفكر فنثبت هذه

الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال ليس كمثله شئ
واستدل البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحوارى عن سفيان بن
عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه تفسيره تلاوته والسكوت عنه
ومن طريق أبي بكر الضبعي مذهب أهل السنة في قوله تعالى ﴿ **الرحمن
على العرش استوى** ﴾ قال بلا كيف قال الحافظ والآثار فيه عن السلف
كثيرة وهذه طريق الشافعي وأحمد بن حنبل قلت وهي طريقة مطابقة
لإمامنا أبي حنيفة ومالك أيضا وهي المختارة عند أصحابنا الماتريدية قال
الحافظ وقال ابن عبد البر أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات
الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيفوا شيئا منها وأما الجهمية والمعتزلة
والخوارج فقالوا من أقر بها فهو مشبه فسموا من أقر بها معطلة * وقال
إمام الحرمين في الرسالة النظامية اختلف مسالك العلماء في هذه
الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من
السنة وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على
مواردها وتفويض معانيها إلى الله عز وجل والذى نرتضيه رأيا وندين الله
تعالى به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع أن إجماع الأمة حجة
فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما فلا شك أن يكون اهتمامهم به فوق
اهتمامهم بفروع الشريعة قال الحافظ وقد تقدم النقل عن أهل العصر
الثالث وهم فقهاء الأمصاركالثورى والأوزاعى ومالك وليث ومن
عاصرهم وكذا من أخذ عنهم من الأئمة فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل
القرون الثلاثة وهم خير القرونبشهادةصاحب الشريعة قال الحافظ وقال شهاب

الدين السهروردى في كتاب العقيدة ما أخبر الله فى كتابه وثبت عن
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الاستواء والنزول والنفس واليد والعين
فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل إذ لو لم يخبر الله بها ورسوله ما
تجاسر عقل أن يحوم ذلك الحمى قال الحافظ الطيبي هذا هو المذهب
المعتمد وبه يقول السلف الصالح انتهى * قال الحافظ ابن عساكر الشافعي
وأصحاب الأشعرى يعتقدون ما فى الإبانة أشد اعتقاد ويعتمدون عليها
أشد اعتماد يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات ويصفونه بما اتصف
به في محكم الآيات وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في
صحيح الروايات وينزهونه عن سمات النقص والآفات فإذا وجدوا من
يقول بالتجسيم أو التكييف فحينئذ يسلكون طريق التأويل ويثبتون واضح
الدليل ويبالغون فى إثبات التقديس له والتنزيه خوفا من وقوع من لا يعلم
فى ظلم التشبيه فإذا أمنوا من ذلك رأوا السكوت أسلم وترك الخوض
فى التأويل إلا عند الحاجة أحزم وما مثالهم في ذلك الإمثال الطبيب
الحاذق الذى يداوي كل داء بالدواء الموافق قال ولسنا نرى الأئمة
الأربعة فى أصول الدين مختلفين بل نراهم فى القول بتوحيد الله وتنزيهه
فى ذاته وصفاته مؤتلفين والأشعرى على منهاجهم أجمعين قال الحافظ
السيوطي فى الإتقان وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث
على الإيمان بها أي بآيات الصفات وتفويض معناها المراد منها إلى الله
تعالى قال وقال ابن

الصلاح على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها وإياها اختار الجم الفقهاء وقاداتها وإليها دعا الحديث وأعلامه ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصد عنها ويأباها وقال فخر الإسلام البزدوى وهو من الخلف من أصحابنا إثبات اليد والوجه حق عندنا ولكنه معلوم بأصله مشتبه بعلو وصفه ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن إدراك الوصف بالكيف وإنما ضلت المعتزلة عن هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على وجه المعقول فصاروا معطلة وكذا ذكره شمس الأئمة السرخسى الحنفى وهو من الخلف أيضا ثم قال وأهل السنة والجماعة اثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص وتوقفوا فيما هو المتشابه ولم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك وقال المحقق الكمال بن الهمام الحنفى في المتشابه والأكثر على إمكان دركه خلافا للحنفية وقال العلامة على القاري الحنفى فى شرح الفقه الأكبر وكذا ما ورد في الأحاديث المرويات من العبارات المتشابهات كقوله عليه الصلاة والسلام إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض الحديث إلى أن قال وقد سئل أبو حنيفة عما ورد من أنه سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا فقال ينزل بلا كيف ثم قال فيجب أن يجري على ظاهره ويفوض أمر علمه إلى قائله وينزه البارئ تعالى عن الجارحة ومشابهة الصفات المحدثة ثم قال وهذه طريقة السلف وهي أسلم والله أعلم وقد سبق تأويلات الخلف وقد قيل أنها أحكم ولكن نقل بعض الشافعية أن إمام الحرمين كان يتأول أولا ثم رجع في آخر عمره وحرم التأويل ونقل إجماع السلف كما بين ذلك في رسالته النظامية وهو موافق لما عليه أصحابنا الماتريدية انتهى نصه بحروفه وقال الشيخ عبد

الباقي الحنبلي في عقيدة أهل الأثر فمن اعتقد وقال أن الله تعالى بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر ثم قال ومن اعتقد أن الله سبحانه مفتقر إلى العرش أو لغيره من المخلوقات أو أن استواءه على العرش كاستواء المخلوق على كرسيه فهو ضال مبتدع فكان الله تعالى ولا زمان ولا مكان وهو الآن [1] على ما عليه كان وقال في العقيدة المذكورة ومنها نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا من غير تشبيه بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف انتهى قلت فكل ما ذكرنا في هذين الفصلين وإن كانت الألفاظ مختلفة فمآله واحد وهو وجوب الإيمان بالمتشابهات مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه (**تنبيه**) قال الشيخ الإمام الحافظ ولي الدين العراقي الشافعي في شرح جمع الجوامع وقد قيل مذهب السلف في هذا أسلم ومذهب الخلف أحكم لزعم قائله أنه وقف على المراد واهتدى إليه بالدليل أو أعلم بتوقفه على زيادة علم واتساع فيه وقال الحافظ ابن حجر نقلا عن غيره إن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات فجمع هذا القائل بين الجهل بطريق السلف والدعوى من طريق الخلف وليس الأمر كذلك كما ظن بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى في غاية التعظيم له والخشوع لأمره والتسليم لمراده وليس من سلك طريقة

---

(١) قوله وهو الآن إلخ هذه العبارة توهم خلاف الحق بل نقول كان الله سبحانه ولا مكان ثم خلق العرش ثم خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش فهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق به وهو السماء كما أخبر بذلك في كتابه وأخبر به رسوله فهو سبحانه في سمائه فوق عرشه بائن عن خلقه اهـ من هامش الأصل.

الخلف واثقا بأن الذى يتأوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تأويله انتهى قلت وبهذا يرد على من قال والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ووجه الرد أنه جعل مقام أحمد الذى هو مقام سلفه مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك فافهم .

فصل

فى كلام الشيخ فيما يتعلق بمسئلة اللفظ قال الشيخ فى عقيدته الواسطية ومن الإيمان بالله الإيمان بالقرآن أنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأنه تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذى أنزله الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل إذا قرأ الناس القرآن وكتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك أن يكون كلام الله فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا قال الشيخ في المجالس الثلاثة والذى يحكى عن أحمد وأصحابه أن صوت القارئ ومداد المصاحف قديم أزلى كذب مفترى لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين قال الشيخ وأخرجت كراسا كان قد أحضر مع العقيدة وفيه ما ذكره الشيخ أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الإمام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزى من كلام الإمام أحمد وكلام أئمة زمانه فى أن من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع قال الشيخ فقلت فكيف بمن

يقول لفظي قديم فكيف بمن يقول صوتي غير مخلوق فكيف بمن يقول صوتى قديم قال الشيخ أبكذب ابن فلان وافترائه على الناس فى مذاهبهم تبطل الشريعة وتدنس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون أن القرآن القديم هو صوت القارئين ومداد الكاتبين وأن الصوت والمداد قديم أزلى من قال هذا أو أى كتاب وجد عنهم قال الشيخ فيما وجد بخطه بعد ما ذكر ما نقلنا عنه وأحضرت ألفاظ الإمام وسائر أئمة أصحابه فى أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمى ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع وهذا هو الذى نقله الأشعرى في كتاب المقالات عن أهل السنة وأصحاب الحديث وأنه يقول به فكيف بمن يقول إن صوته غير مخلوق فكيف بمن يقول إن صوته قديم ونصوص أحمد فى الفرق بين تكلم الله بصوت وبين صوت العبد كما نقله البخاري صاحب الصحيح فى كتاب خلق أفعال العباد وغيره من أئمة السنة قلت قد أورد الحافظ بن حجر في فتح الباري نحو ما تقدم عن الشيخ مع بعض الزيادات حيث قال واشتد إنكار الإمام ومن تابعه على من قال لفظى بالقرآن مخلوق ويقال إن أول من قاله الحسين بن علي الكرابيسي أحد أصحاب الشافعي فلما بلغه ذلك بدعه وهجره ثم قال داود بن على الأصفهاني رأس الظاهرية وهو يومئذ بنيسابور فأنكر عليه إسحاق وبلغ ذلك أحمد فلما قدم بغداد لم يأذن له فى الدخول عليه وجمع ابن أبي حاتم أسماء من أطلق على اللفظية أنهم جهمية فبلغوا عددا كثيراً وأفرد لذلك بابا فى كتابه الرد على الجهمية والذى يتحصل من كلام المحققين أنهم أرادوا حسم المادة صوناً للقرآن أن يوصف بكونه

مخلوقا وإذا حقق الأمر عليهم لم يفصح أحد منهم بأن حركة لسانه قديمة وأنكر أحمد على من نقل عنه أنه قال لفظي بالقرآن غير مخلوق ولما ابتلى أحمد بمن يقول القرآن مخلوق كان أكثر كلامه في الرد عليهم حتى بالغ فأنكر على من يتوقف فلا يقول مخلوق ولا غير مخلوق وعلى من قال لفظي بالقرآن مخلوق لئلا يتذرع بذلك من يقول القرآن بلفظي مخلوق وأما البخاري فابتلى بمن يقول أصوات العباد غير مخلوقة حتى بالغ بعضهم فقال والمداد والورق بعد الكتابة فكان أكثر كلامه في الرد عليهم وبالغ في الاستدلال بأن أفعال العباد كلها مخلوقة بالآيات والأحاديث في ذلك مع أن قول من قال إن الذي يسمع من القارئ هو الصوت القديم لا يعرف من السلف ولا قاله أحمد ولا أصحابه وإنما سبب نسبة ذلك إلى أحمد قوله من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي فظنوا أنه سوى بين اللفظ والصوت بل صرح فى مواضع بأن الصوت المسموع من القارئ هو صوت القارئ والفرق بينهما أن اللفظ يضاف إلى المتكلم به ابتداء فيقال عمن روى الحديث بلفظه هذا لفظه وعمن رواه لغير لفظه هذا معناه ولا يقال في شئ من ذلك هذا صوته فالقرآن كلام الله تعالى لفظه ومعناه ولا يقال فى شئ من ذلك هذا صوته فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه ليس هو كلام غيره وأما قوله تعالى﴿ **إنه لقول رسول كريم** ﴾ فاختلف فيه هل المراد جبريل أو الرسول عليهما الصلاة والسلام فالمراد به التبليغ لأن جبريل مبلغ عن الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والرسول مبلغ للناس ولم ينقل عن أحمد قط أنه قال أن فعل العبد قديم ولا صوته وإنما أنكر إطلاق

اللفظ وصرح البخاري بأن أصوات العباد مخلوقة وأن أحمد لا يخالفه في ذلك والله أعلم (**قلت**) قد يتوحش أهل العصر من قول الشيخ لا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة فهذا وإن كان مخالفاً لما اشتهر عندهم فقد اختار جمع من المحققين من غير الحنابلة ومنهم السيد الجرجاني من أصحابنا حيث قال وما اشتهر عن الشيخ أبي الحسن الأشعرى من أن الكلام القديم معنى قائم بذاته تعالى قد عبر عنه بهذه العبارة الحادثة فقد قيل إنه غلط من الناقل منشؤه اشتراك لفظ المعنى بين ما يقابل اللفظ وبين ما يقوم بغيره ويزداد ذلك وضوحاً فيما بعد إن شاء الله تعالى ثم قال في الإلهيات واعلم أن للمصنف يعني صاحب المواقف مقالة مفردة فى تحقيق كلام الله تعالى وفق ما أشار إليه فى خطبة الكتاب ومحصولها أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ وأخرى على الأمر القائم بالغير فالشيخ الأشعرى لما قال الكلام هو المعنى النفسى فهم الأصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم عنده وأما العبارات فإنها تسمى كلاما مجازا لدلالتها على ما هو كلام حقيقة حتى صرحوا بأن الألفاظ حادثة على مذهبه أيضا لكونها ليست كلامه حقيقة وهذا الذى فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة كعدم الإكفار لمن أنكر كلامية ما بين دفتي المصحف مع أنه علم من الدين بالضرورة كونه كلام الله حقيقة وكعدم كون المعارضة والتحدى بكلام الله الحقيقى وكعدم كون المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في الأحكام الدينية فوجب حمل كلامه على أنه أراد المعنى الثانى فيكون الكلام النفسي عنده أمراً

شاملاً للفظ والمعنى جميعا قائما بذاته تعالى وهو مكتوب في المصاحف مقروء بالألسن محفوظ فى الصدور وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ الحادث وما يقال من أن الحروف والألفاظ مرتبطة متعاقبة فجوابه أن ذلك الترتيب إنما هو فى التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة فالتلفظ حادث والأدلة الدالة على لفظ الحدوث يتعين حملها على حدوثه دون حدوث الملفوظ جمعا بين الأدلة وهذا الذي ذكرناه وإن كان مخالفا لما عليه متأخروا أصحابنا إلا أنه بعد التأمل تعرف حقيقته انتهى قال الشيخ عبد الباقي الحنبلي وهذا المحمل لكلام الشيخ هو ما اختاره محمد الشهرستاني في كتابه المنسوب إلى قواعد الملة (**قلت**) فما قاله السيد في تأويل كلام الأشعرى هو بعينه مقصود الحنابلة فافهم وقد قال الحافظ ابن حجر فى الفتح والذي استقر عليه قول الأشعرى أن القرآن كلام الله غير مخلوق مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور مقروء بالألسنة قال الله تعالى ﴿ **فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾وفي الحديث لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو كراهة أن يناله العدو وليس المراد ما فى الصدور بل ما فى المصحف وأجمع السلف على أن الذى ما بين الدفتين كلام الله تعالى قال الشيخ عبد الباقي فالذي ظهر من عبارة ابن حجر العسقلاني وشرح المواقف موافقة الشيخ الأشعري وأحمد فى مسألة الكلام وما روي عنه مخالفا لذلك فهو غلط من الناقل ومنهم الشيخ تاج الدين السبكى حيث قال في الطبقات في ترجمة الأشعرى وأما ما قيل أن مذهبه أن القرآن لم يكن بين الدفتين وليس القرآن فى المصحف عنده فهو تشنيع فظيع ولبس على العوام فإن

الأشعرى و كل مسلم غير مبتدع يقول إن القرآن كلام الله وهو على الحقيقة مكتوب فى المصحف عنده تشنيع فظيع ولبس على العوام فإن الأشعري و كل مسلم غير مبتدع يقول إن القرآن كلام الله وهو على الحقيقة مكتوب فى المصحف لا على المجاز ومن قال أن القرآن كلام الله ليس في المصاحف على هذا الإطلاق فهو مخطئ بل القرآن مكتوب فى المصحف وهو قديم غير مخلوق لم يزل سبحانه متكلما ولا يزال به قائما ولا يجوز انفصال القرآن عن ذات الله تعالى ولا الحلول فى المحال ولو أن الكلام مكتوب على الحقيقة فى الكتاب فلا يقتضي حلوله فيه ولا انفصاله عن ذات المتكلم قال سبحانه وتعالى ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل** ﴾ فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم على الحقيقة مكتوب فى المصاحف محفوظ في قلوب المؤمنين مقروء متلو على الحقيقة بألسنة القارئين من المسلمين كما أن الله تعالى على الحقيقة لا على المجاز معبود في مساجدنا معلوم فى قلوبنا مذكور بألسنتنا وهذا واضح بحمد الله تعالى ومن زاغ عن هذه الطريقة فهو قدرى معتزلى يقول بخلق القرآن وأنه حال فى المصحف (**قلت**) فقوله وهو على الحقيقة مكتوب في المصاحف لا علي المجاز فيه رد صريح على من قال بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه ومنهم شارح عقيدة الإمام أبى جعفر الطحاوي حيث قال من قال أن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله أو حكاية وليس فيها كلام الله فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكلام الطحاوى يرد قول من قال أنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه وأن

المسموع المنزل المقروء المكتوب ليس بكلام الله وإنما هو عبارة عنه فإن الطحاوى يقول كلام الله منه بدأ بلا كيفية أى لا تعرف كيفية التكلم به وكذا قال غيره من السلف منه بدأ وإليه يعود وإنما قالوا منه بدأ وإليه يعود أي هو المتكلم به فمنه بدأ أي لا من بعض المخلوقات كما قال **﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾** ومعنى قولهم وإليه يعود أي يرفع من الصدور والمصاحف كما ورد فى الأحاديث . وقال العلامة علي القارى عند قول الإمام والقرآن كلام الله تعالى أى بالحقيقة كما قال الطحاوى لا بالمجاز كما قال غيره لأن ما كان مجازاً يصح نفيه وهذا لا يصح **(تنبيه)** قد اشتهر عن السادة الحنابلة أنهم يقولون كلام الله بحرف وصوت وهو قديم وهذا صحيح عنهم وقد صح ذلك عن أحمد بن حنبل خلافاً لمن أنكر ذلك وأنهم لم يقولوه قط كما نقله عنهم ابن الخطيب والسعد التفتازانى ولم يقولوا حرف كحرفنا وصوت كصوتنا وأنهما من الأعراض بل قالوا حرف وصوت يليقان به تعالى كسائر المتشابهات وقد قال الحافظ بن حجر فى الفتح قال البيهقى الكلام ما ينطق به المتكلم وهو مستقر في نفسه كما فى كلام عمر في قصة السقيفة فإن كان المتكلم ذا مخارج سمع كلامه ذا حرف وأصوات وإن كان غير ذي مخارج فهو خلاف ذلك والبارى تعالى بخلاف ذلك فلا يكون كلامه كذلك وأول ما ورد في الحديث أن الملائكة يسمعون باحتمال أن يكون الصوت للسماء أو الملائكة الآتية بالوحى أو لأجنحة الملائكة وإذا احتمل ذلك لا يكون نصا في المسألة قال الحافظ فى رده وهذا حاصل كلام من نفى الصوت من الأئمة ويلزم منه أنه تعالى لم يسمع واحدا من الملائكة

ولا رسله كلامه بل ألهمهم إياه وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين لأنها التى عندنا ذات مخارج ولا يخفى ما فيه إذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة سلمنا لكن يمنع القياس المذكور وصفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوق وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان وقال فى الفتح أيضاً فعلى هذا فصوته سبحانه صفة من صفات ذاته لا يشبه صوت غيره إذ ليس يوجد شئ من صفاته فى صفات المخلوقين قال وهكذا قرره المصنف يعني البخارى فى كتاب خلق الأفعال (**تنبيه**) قال الشيخ عبد الباقي الحنبلى ما نقله السعد في كلامه على عقائد النسفي من نسبته إلى الحنابلة أنهم قالوا أن كلامه سبحانه عرض من جنس الأصوات والحروف وهو مع ذلك قديم وفى محل آخر أن المؤلف من الأصوات والحروف قديم ونسبهم إلى الجهل والعناد وأيضاً ما ينسبه بعض الناس للحنابلة من أنهم يقولون بقدم الأوراق والجلد والمداد فالجواب عن ذلك أن ما نسب إليهم من هذه المقالات لا أصل له في كلام أحد منهم ولو كان له أصل لعثر عليه (**قلت**) وعلى تقدير التسليم ففي أي كتاب وجد عنهم ومن قال ذلك منهم لابد من بيان ذلك وقال الشيخ عبد الباقى على أن معظم اعتقادنا فيما نقلناه من أصولنا وفروعنا متصل فى جميع الأعصار منذ الإمام أحمد إلى زمننا وهذا متواتر نقله جمع عن جمع .

فصل

فإن قلت ما نقلته فى هذا الجزء يدل على براءة الشيخ مما نسب إليه

وعلى مرتبته فما بال على القارئ والتقى الحصني وابن حجر الهيتمى وغيره ينسبونه إلى أمور فظيعة قلت اعلم وفقك الله تعالى أن ابن تيمية رحمه الله تعالى كان رجلا مشهورا بالعلم والفضل وحفظ السنة وكان مبالغا في مذهب الإثبات وكان يكره التأويل أشد الكراهة وكان يرد علي الصوفية ما ذكروه في كتبهم من وحدة الوجود وما شاكلها كعادة أهل الحديث والفقهاء والمتكلمين فرد على الشيخ محي الدين بن العربي والشيخ عمر بن الفارض وعبد الحى بن سبعين وأضرابهم وكان قد خالف الأئمة الأربعة فى بعض الفروع كمسألة الزيارة والطلاق وكان يناظر عليهما كما تقدم فقام عليه ناس وحسدوه وأبغضوه وأشاعوا عنه ما لم يقله من التشبيه والتجسيم وغير ذلك فدخل ذلك على بعض أهل العلم من الحنفية والشافعية وغيرهما ولم يطلبوا تحقيق ذلك من كتبه المشهورة واعتمدوا على السماع فوقع منهم ما قد وقع وقد وقع مثل هذا لغير واحد من أهل العلم والفضل فمنهم العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى حيث يقول فى عقيدة أهل السنة والجماعة وقد كان سبق مني تأليف كتاب نفيس في علم العقائد سميته فرائد القلائد فى علم العقائد وكتب عليه شيوخ الإسلام بمصر المحروسة سنة سبع وأربعين وتسعمائة ومدحوه وأجازوه فاحتال عليه بعض الحسدة فكتب له منه نسخة ودس فيها أموراً شنيعة من عقائد أهل الزيغ والضلال ونسبه إليه ودارت النسخة فى مصر نحو سنة وأنا لا أشعر وصار كل من لا

خلطة له بي يضيف تلك العقائد الزائغة إليّ وأنا بحمد الله بريءٌ من ذلك[1] فقد وقع لابن تيمية نحو ذلك كما بينته في المجالس الثلاثة وذكر الشيخ عبد الوهاب فى العقيدة المذكورة ما يناسب المقام ونصه والله أني لأعرف جماعة يطعنون فى عقائد بعض العلماء الصحيحة وينسبونهم إلى التجسيم وغيره حتى بعد موتهم وما منهم أحد اجتمع بهم وإنما هي إشاعة من بعض حسادهم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (**قلت**) فقضية الشيخ تقي الدين بن تيمية من هذا الباب ولا أستبعد أن تكون الإشارة إليه في كلام العارف بالله والله أعلم .

فصل

قد أنكروا على الشيخ أشياء لا بأس بذكرها مع الجواب عنها والاعتذار فأقول قالوا يقول بتحريم السفر لزيارة القبور وقد خالف فى ذلك الإجماع (**قلت**) هو مخطئ فى ذلك أشد الخطأ ولكن لا يلزم من القول به التفسيق فضلا عن التكفير لأنه صدر ذلك عن شبهة ولو كان ذلك الدليل خطأ عندنا كما مرت الإشارة إليه فى كلام العيني والتفهنى والبلقينى ولقد أنصف العلامة عليّ القارى حيث يقول في كتاب الزيارة وما وقع للشعبي والنخعى مما يقتضى كراهة زيارة القبور شاذ لا يلتفت إليه لمخالفته إجماع غيره على أنه ما دل وبفرض تسليم الاعتداد به هو لا يأتى فى قبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم للفرق الجلي بين قبره وقبر غيره قال وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي صلى الله

---

(١) هنا بياض بالأصل .

عليه وسلم كما أفرط بعض الفضلاء حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده كافر محكوم عليه بالكفر (**قلت**) قد اشتهر على ألسنة بعض الناس أن ابن تيمية حرم زيارة القبور مطلقا وهذا كذب واضح كيف وهو يقول وسنّ زيارة قبر مسلم لكن بغير شد رحل كيف وقد نقل عنه العلامة عليّ القارى أن كل المؤمنين إذا سلم عليهم الزائر عرفوه وردوا عليه السلام (**قلت**) وكذا قال ابن القيم تلميذه وزاد ولا يختص بيوم الجمعة والله أعلم. قالوا يقول بالتجسيم والتشبيه وهو كفر عند الجمهور (**قلت**) قد سمعت نصوصه في نفي التشبيه والتجسيم فماذا بعد الحق إلا الضلال وقد قال العلامة عليّ القاري في شرح شمائل الترمذى ما نصه قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه ذكر شيئا بديعا وهو أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى ربه واضعا يديه بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالفدية قال العراقى لم نجد لذلك أصلا قال ابن حجر بل هذا من قبيح رأيهما وضلالهما إذ هو مبنى على ما ذهبا إليه وأطالا فى الاستدلال له والحط على أهل السنة في نفيهم له وهو إثبات الجهة والجسمية لله تعالى ولهما في هذا المقام من القبائح وسوء الاعتقاد ما تصم عنه الآذان ويقضى عليه بالزور والبهتان قبحهما الله وقبح من قال بقولهما والإمام أحمد وأجلاء مذهبه مبرؤن عن هذه الوصمة القبيحة كيف وهى كفر عند كثيرين قال العلامة على القارى قدس سره أقول صانهما الله عن هذه الوصمة الشنيعة والنسبة الفظيعة ومن طالع شرح منازل السائرين تبين له أنهما كانا من أهل السنة والجماعة ومن أولياء هذه الأمة ومما ذكره في الشرح المذكور ما نصه وهذا الكلام من شيخ

الإسلام يعني الشيخ عبد الله الأنصارى الحنبلي قدس الله سره الجلى يبين مرتبته من السنة والمقدار في العلم وأنه برئ مما رماه به أعداؤه الجهمية من التشبيه والتجسيم والتمثيل على عادتهم في رمى أهل الحديث والسنة بذلك والرافضة لهم بأنهم نواصب والناصبة بأنهم روافض والمعتزلة بأنهم نوابت حشوية وذلك من ميراث في أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رميه ورمى أصحابه وأهل السنة من بينهم بتلقيب أهل الباطل لهم بالألقاب المذمومة وقدس الله روح الشافعى حيث يقول وقد نسب إليه الرفض .

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافضى

ورضى الله عن شيخنا أبي عبد الله بن تيمية حيث يقول :

إن كان نصبا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى ناصب

وعفا الله عن الثالث حيث يقول :

فإن كان تجسيما ثبوت صفاته وتنزيهها عن كل تأويل مفترى

فإني بحمد الله ربى مجسم هلموا شهودا واملؤا كل محضر

ثم ذكر فى الشرح المذكور ما يدل على براءة الرجل من التشنيع المسطور وهو أن حفظ حرمة نصوص الأسماء والصفات بإجراء أخبارها على ظواهرها وهو اعتقاد مفهومها المتبادر إلى إفهام العامة ولا يعني بالعامة الجهال بل عامة الأمة كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى وقد سئل عن قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ فأطرق مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان

به واجب والسؤال عنه بدعة فرق بين المعنى المعلوم من هذه اللفظة وبين الكيف الذي لا يعقله البشر وهذا الجواب من مالك رحمه الله شاف في جميع مسائل الصفات من السمع والبصر والعلم والحياة والقدرة والإرادة والنزول والغضب والضحك فمعانيها كلها معلومةوأما كيفيتها فغير معقولة إذ تعقل الكيف فرع العلم بكيفية الذات وكنهها فإذا كان ذلك غير معلوم فكيف تعقل الصفات والعصمة النافعة في هذا الباب أن تصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل تثبت له الأسماء والصفات وتنفي عنه مشابهات المخلوقات فيكون إثباتك منزها عن التشبيه ونفيك منزها عن التعطيل فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل ومن شبهه باستواء المخلوق فهو ممثل ومن قال هو استواء ليس كمثله شئ فهو الموحد المنزه انتهى كلامه وتبين مرامه وظهر أن معتقده موافق لأهل الحق من السلف وجمهور الخلف فالطعن الشنيع الفظيع غير موجه عليه ولا متوجه إليه فإن كان كلامه بعينه مطابق لما قاله الإمام المجتهد الأقدم في الفقه الأكبر ما نصه وله تعالى يد ووجه ونفس فما ذكره الله في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال أن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفة بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف ثم ذكر العلامة توجيه الحديث . قالوا وقد استعمل ألفاظاً في عقيدته الواسطية يلزم منها التجسيم ولازم المذهب مذهب في الاعتقاديات (**قلت**) لم يذكر فيها شيئا إلا ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم ومذهب السلف وها أنا

أذكر عبارتها ملخصا مع ما تيسر من تفسيره فأقول وبالله التوفيق قال الشيخ تقى الدين بن تيمية فى العقيدة المذكورة (من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله فى كتابه) بقوله ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ وبقوله ﴿**الرحمن على العرش استوى** ﴾ قال إمامنا أبو حنيفة رضى الله عنه ثم نقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه وقال الأوزاعى لما سئل عن قوله تعالى ثم استوى على العرش فقال هو كما وصف نفسه أخرجه الثعلبى وقال مالك الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف والكيف عنه مرفوع أخرجه البيهقى بسند جيد كما قاله الحافظ بن حجر وقال الأشعرى وأن الله سبحانه مستو على عرشه فبطل قول من اعترض على الشيخ بقوله ولا يقال أنه يدل على صفة الله تعالى أصلا (وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) تواتراً معنويا قال المؤلف أن كل لفظ قلته فهو مأثور عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مثل لفظ فوق السموات ولفظ على العرش وفوق العرش (واجمع عليه سلف الأمة) ومن نقل الاتفاق في الإيمان بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تفسير إمامنا محمد بن الحسن والحافظ ابن عبد البر المالكي والحافظ بن حجر الشافعي كما تقدم فدخل فى ذلك ما نحن فيه (من أنه سبحانه فوق سماواته) ومن ذلك حديث زينب أم المؤمنين رضى الله عنها وزوجنى الله من فوق سماواته فهذا من باب المتشابه يجب الإيمان به مع اعتقاد التنزيه ونفى التشبيه فلا يقال أنه فوق سماواته بالتمكن والاتصال إذ فيه إثبات الجهة والجسمية وهو بدعة وضلال (على عرشه)

كما قال الأوزاعى إمام أهل الشام فيما أخرج عنه البيهقى بسند جيد كما قال الحافظ بن حجر كنا والتابعون متوافرون نقول بأن الله على عرشه ونؤمن بما ورد من السنة من صفاته قلت من يؤمن بنزول الرب بلا كيف فليؤمن بفوقيته بلا كيف وكما أنه لا يلزم من القول بإثبات النزول بلا كيف إثبات الجهة فكذلك لا يلزم من إثبات الفوقية بلا كيف إثباتها ولا أدرى ما الوجه في نفى الفوقية وإثبات النزول مع أنّا لا نقول بإثبات فوقية المكان كما أنّا لا نقول في النزول كنزولنا (على خلقه) كقوله تعالى ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ ولم يرد على المكان ﴿**وهو معهم أينما**﴾ كانوا وليس معنى قوله تعالى ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ أنه مختلط بالخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان وهذا من باب التقريب للإفهام لا من باب التشبيه كقول الإمام الأشعرى وندين أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر فلا يرد ما قيل التشبيه بالقمر يثبت كون الله فى السماء (وكل هذا الكلام الذى ذكره الله تعالى) من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته كما أن الله حى حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة وكما أن الله موجود حقيقة ولا يلزم من إطلاق الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذور (لا يحتاج إلى تحريف) بل يجب الإيمان به مع اعتقاد التنزيه ونفى التشبيه (ولكن يصان عن الظنون الكاذبة) ومنها إثبات الجهة والجسمية لله تعالى (**قلت**) فهذه العبارات مما انتقدوا عليه في هذه العقيدة لأنهم لم يفهموا مراده وإنما فهموا منه أنه يقول بالجهة ويلزم من القول بها الجسمية وأنت

خبير أنه لم يستعمل هذه العبارات إلا لكونها مأثورة وهى من باب المتشابه وواجبة الإيمان مع اعتقاد التنزيه فافهم (تنبيه) قد صنف بعض الناس كتابًا فى الرد على الشيخ وسماه الملحمة على المجسمة زعما منه أن الشيخ يقول بالجهة ويلزم من القول بها الجسمية وأنت خبير بأن الشيخ لم يقل بأن الله متمكن على العرش متحيز فيه وأنه فى جهة الفوق كما زعمه هذا القائل وإنما يقول بصفة الفوقية لله تعالى بلا كيف وهى من باب المتشابه كحديث النزول وقد أجمع السلف والخلف على إثبات رؤية الله تعالى فى الآخرة بلا كيف ولا يلزم من القول بها بلا كيف إثبات المقابلة والجسمية فكذلك الفوقية لأن صفاته تعالى لا تقاس على صفات المخلوقين والشيخ قد كرر فى العقيدة المذكورة قوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فقوله بذلك ينفى كل باطل ولم يقل قط فى آيات الصفات وأحاديثها أنها آيات الأعضاء وأحاديث الأجزاء كما زعمه هذا القائل وقد تليت عليك نصوصه وعرفت أنه موافق فى ذلك للسلف والمنصورية قالوا قد خالف الإجماع فى مسائل فمما خالف فيه الإجماع مسألة الطلاق المشهورة ومخالفة الإجماع كفر أو فسق (**قلت**) غالب ما يحكى عنه لا يعرف فى كتبه بل يوجد فى كتبه خلاف ما يحكى عنه وأما مسألة الطلاق فقد خالف فيها الأئمة الأربعة وقد وجد فى المسألة خلاف بعض التابعين كما هو مسطور فى موضعه فلا يلزم منه التفسيق وإن كان مخطئا فى ذلك أشد الخطأ (**قلت**) قد ادعي صاحب الهداية الإجماع على عدم حل متروك التسمية عامداً حتى قال لا ينفذ فيه قضاء القاضى فهل قال أحد إن صاحب الهداية كفر الشافعية بدعواه الإجماع وذكر بعضهم أن الإمام أحمد قد خالف الإجماع

فى قوله لا تصح الصلاة فى الأرض المغصوبة وذكر الحافظ بن حجر ما معناه أن زفر خالف الإجماع فى مسألة غسل المرفقين فقال لا يجب غسلهما وشواهد هذا الباب كثيرة جدا فمن حكم فى مثل هذا بالكفر أو الفسق فلا يعول عليه كيف وقد علمت أنه ما حلل أحمد ولا حرم إلا بمقتضى الدليل ولو كان ذلك الدليل خطأ عند غيره غاية الأمر أنه لا يفتى بمثل هذه المسألة بل لا يعمل بها فضلا عن الفتوى . قالوا وقد أنكر تبديل التوراة وقال لم يبدل اللفظ وهذا كفر (قلت) وهذا لا أصل له فى كلامه كيف وهو القائل فى كتاب الرد على النصارى وما يذكر أهل الكتاب مما يناقض خبر محمد صلى الله عليه وسلم فهو عامة ما حرفوا معناه وقليل منه حرف لفظه فهذا تصريح منه بتحريف اللفظ وهو المطلوب قالوا تكلم فى الأولياء كالغزالى وابن العربى وعمر بن الفارض وأضرابهم بل تكلم فى مثل عمر وعلى (**قلت**) أما تكلمه فى أميرى المؤمنين عمر وعلى فهو كذب وافتراء عليه كيف وقد صنف كتاب الرد على الروافض وكتابه فى الرد عليهم مشهور كيف وهو القائل :

إن كان نصبا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى ناصبى

وأما سبب تكلمه فى حجة الإسلام الغزالى فالله أعلم أنه ذكر فى كتابه المضنون أشياء توافق عقائد الفلاسفة وتخالف الشرع حتى إن بعض العلماء أنكر نسبة ذلك إليه كذا ذكر بعضهم وقد تكلم فيه القاضى عياض وابن الجوزى وغيرهما فله أسوة بهم وإن كنا لا نسمع فى الغزالى كلاما بعد كيف وهو حجة الإسلام وملك العلماء الأعلام وأما سبب تكلمه فى ابن المربى فإنه ذكر أشياء فى فصوصه وفتوحاته تقتضى الكفر وقد كفره بذلك جماعة من العلماء منهم الحافظ بن حجر وقد

صنف بعض العلماء جزءاً حافلاً وجمع فيه كلام من ذم الشيخ ابن العربى فما قال فى الجزء المذكور وذكره الذهبى فى العبر وقال فى ترجمته صاحب التصانيف وقدوة القائلين بوحدة الوجود ثم قال الذهبى وقد اتهم بأمر عظيم وقال أى الذهبى فى تاريخ الإسلام هذا الرجل قد تصوف وانعزل وجاع وسهر وفتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والفكرة واستحكم ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة فى الخارج وسمع من طيش دماغه خطابا واعتقده من الله تعالى ولا وجود له فى الخارج إلى آخر ما قال . قال فى الجزء المذكوروذكره الذهبى فى الميزان فقال تصوف تصوّف الفلاسفة وأحل الوحدة وقال أشياء منكرة عدها طائفة من العلماء مروقا وزندقة إلى آخر كلامه ومما قال فى الجزء المذكور أنبأنى الحافظ زين الدين أبو الفضل العراقى ونور الدين على بن أبى بكر الهيتمى الشافعيان أذنا مشافهة عن شيخ الإسلام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى إجازة إن لم يكن سماعا قال فى كتابه شرح منهاج النووى فى باب الوصية بعد ذكره حكم المتكلمين وهكذا الصوفية منقسمون كانقسام المتكلمين فإنهما من واد واحد فمن كان مقصوده معرفة الرب سبحانه وتعالى والتخلق بما يجوز التخلق به هنا والتحلى بأحوالها وإشراق المعارف الإلهية والأحوال السنية فذلك من أعلم العلم ويصرف إليه من الوصية للعلماء والوقف عليهم ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربى واتباعه فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الإسلام فضلا عن العلماء أ ثم قال وجاء فى وسط الأمة قوم تكلموا كالحرث المحاسبى ونظرائه

كلاما حسنا وهو مقصودنا بالتصوّف ثم انتهى الأمر بالآخرة إلى قوم فيهم بقايا إن شاء الله تعالى وآخرين تسموا باسم الصوفية استمروا على البدع المضلة والعقائد الفاسدة فيهم وهم باسم الزندقة أحق منهم باسم الصوفية نحن برآء إلى الله تعالى منهم انتهى قاله صاحب الجزء والظاهر أنه أشار بقوله وآخرين تسموا إلى آخره إلى ابن عربى واتباعه قلت هذا نقله صاحب الجزء عن السبكى والعهدة عليه قال وقد سمعت صاحبنا الحافظ الحجة القاضى شهاب الدين أبا الفضل أحمد بن على بن حجر الشافعى يقول أنه ذكر لمولانا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى أشياء من كلام ابن عربى المشكل وسأله عن ابن عربى فقال له شيخنا البلقينى هو كافر قال وسمعت الحافظ شهاب الدين بن حجر يقول جرى بينى وبين بعض المحبين لابن عربى يقال له المرمين منازعة كثيرة فى أمر ابن عربى حتى تبرأت من ابن عربى بسوء مقالته فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لى فى أمره وهددنى بالشكوى إلى السلطان بمصر بأمر غير الذى تنازعنا فيه يتعب خاطرى فقلت له ما للسلطان فى هذا مدخل ألا تعال نتباهل وقلت ما تباهل اثنان فكان أحدهما كاذبا إلا وأصيب قال فقال لى بسم الله قال فقلت له قل اللهم إن كان ابن عربى على ضلال فالعنى بلعنتك فقال ذلك فقلت أنا اللهم إن كان ابن عربى على هدى فالعنى بلعنتك وافترقنا قال وكان يسكن الروضة فاستضافه شخص من أبناء الهند جميل الصورة ثم بدا له أن يتركهم وخرج فى أول الليل مصمما

على عدم المبيت فخرجوا يشيعونه إلى الشختور فلما رجع أحس بشئ
مر على رجله فقال لأصحابه مر على رجلى شئ ناعم فانظروه فنظروا
فلم يروا شيئا وما رجع إلى منزله إلا وقد عمى وما أصبح إلا ميتا وكان
ذلك في ذى القعدة سنة سبع وسبعين وكانت هذه المباهلة فى رمضان
ومنها وعند وقوع المباهلة عرفت أن السنة ما تمضى عليه وكانت بمحضر
من جماعته قال صاحب التأليف هذا بمعني ما سمعته من الحافظ شهاب
الدين بن حجر ثم ذاكرته الحكاية فكتب إليّ بخطه يقررها اهـ (**قلت**)
وقصة المباهلة صحيحة بلا ريب فقد ذكرها باختصار الحافظ برهان
الدين البقاعى تلميذ الحافظ فى عنوان الزمان فى ترجمة الحافظ وعدها
كرامة له ولم أقف على اسم صاحب الجزء ولم أنقل من تأليفه إلا ما نقله
عن الكتب المشهورة كما هو ظاهر فإذا عرفت ذلك كله علمت أن
الشيخ تقى الدين بن تيمية لم ينفرد بذم ابن عربى (**فإن قلت**) فما تعتقد
فى ابن عربى (**قلت**) مذهبى فيه كمذهب شيخ الإسلام الحافظ
السيوطى وهو اعتقاد ولايته وتحريم النظر فى كتبه وقد اختار هذا القول
الشيخ ابن حجر المكى من الشافعية ومثلا أبو السعود من الحنفية وقال به
ورد الأمر وأما ابن الفارض فهو من نمط ابن عربى وقد كفره خلق من
العلماء أيضاً وقد نظم أسماءهم بعض العلماء وعد ابن تيمية منهم ومن
أراد تصديق ذلك فلينظر فى تواريخ المحدثين وأما الذى فى اعتقادنا فابن
الفارض رجل كبير عظيم المقدار وكان شيخنا الجلال السيوطى مع ذمه

القول بالوحدة المطلقة يعتقد فيه وصنف جزءاً [(١)] وسماه قمع المعارض لابن الفارض ولم نقصد بذكره وكذا ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي ذمهما وإنما أردنا بيان أن ابن تيمية لم ينفرد بذمهما كما زعمه من لا علم عنده بتواريخ أئمة الحديث .

فصل

فإن قلت ما نقلته عن الذهبي في أول التأليف يعارضه ما ذكر هو نفسه في رجل العلم (**قلت**) الذهبي رحمه الله تعالى كان على طريقة السلف في كراهة علم الكلام وجماهير المحدثين كانوا يرون الاشتغال به من جملة البدع وابن تيمية كان قد دخل في هذا الباب فصار ينظر في كلامهم ويرد على من خالف كعادة الأشاعرة والماتريدية مع اتصافه

(١) وهو جزء نحو خمس ورقات ذكر فيه أهل الفنون الشرعية والعقلية وأهل المذاهب الأربعة وتكلم على كل فريق منهم بما أداه إليه نظره فقال في أثناء الكلام على الفقهاء الشافعية واحذر الكبر والعجب بعلمك فيا سعادتكإ أن نجوت منه كفافا لا عليك ولا لك فوالله ما رمقت عيني أوسع علما ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية مع الزهد في المأكل والملبس والنساء ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن وقد تعبت في رزيته وفتنته حتى مللت في سنين متطاولة فما وجدت قد أخره في أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا بالكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار فانظر كيف وبال الدعاوى ومحبة الظهور ونسأل الله المسامحة فقد قام عليه ناس ليسوا بأروع منه ولا أعلم منه ولا أزهد منه بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم وما سلطهم الله عليه بتقواهم أو جلالتهم بل بذنوبه وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون فلا تكن في ريب من ذلك وقال أيضا في أثناء الكلام على أصول الدين فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة وآراء الأوائل ومجاراة العقول واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة =

بالعقيدة السلفية فمدح الذهبى له لكونه من أهل الحديث وكونه موافقًا له فى العقيدة وذمه لكونه دخل فى طريقة المتكلمين والجدال معهم على أنه كان لا ينكر فضله وورعه وعلمه وديانته وصحة اعتقاده وإن شئت الاطلاع على ذلك فعليك بتاريخ الإسلام وطبقات الحافظ وقد كان الذهبى يبالغ فى مدح الحافظ جمال الدين المزى ومع ذلك ذكر فى ترجمته أنه كان يعرف مضايق المعقول كأنه يذمه بذلك فقال الشيخ تاج الدين السبكى ما معناه رحم الله شيخنا الذهبى فما كان هو والمزى يدريان شيئاً من المعقول فافهم . واعلم أيها الأخ الصالح أنك إذا قطعت النظر عما قيل أو يقال ورأيت كلام الرجل فيما يتعلق بالصفات خاصة وبسائر العقيدة عامة فى كتبه المشهورة علمت مقام الرجل وقد ذكرنا لك طرفا صالحا من كلامه مع كلام غيره من السلف والخلف وفيه كفاية لمن يتدبر وحفظ اللسان خير مما لا يعنى وأما المعاندون فيقال لهم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم .

= وأصول السلف ولفقت بين العقل والنقل فما أظنك فى ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقاربها وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير بحق وبباطل فقد كان قبل أن يدخل فى هذه الصناعة منورا مضيئا على محياه سيما السلف ثم صار مظلما مكسوفا عليه قتمة عند خلائق من الناس ودجالا أفاكا كافرا عند أعدائه ومبتدعا فاضلا محققا بارعا عند طوائف من عقلاء الفضلاء وحامل راية الإسلام وحامى عورة الدين ومحيى السّنة عند عموم أصحابه وهو ما أقول لك اهـ فأنت ترى كلامه فى الشيخ فزنه بعقلك فإنه ظاهر التناقض والله أعلم بالسرائر قال راقم الحروف انتهى ما وجدته بخط مجتهد العصر على الإطلاق إمامنا السيد النواب صديق حسن خان عافاه الله آمين كتبه أبو الشرف محمد بن حسين عفى عنه .

فصل

قال بعضهم قوم من المعتزلة سموا أنفسهم حنابلة إلى آخر ما قال وفى مقاله نظر لأن الحنابلة فرقتان فرقة منهم أهل السنة والجماعة وهم الجماهير ولم يخالفوا الإمام أحمد فى شىء من أصول الدين ولم يقولوا بالجهة والجسمية وكانوا على عقيدة السلف الصالح وليس بيننا وبينهم إلا اختلاف يسير كما بين أصحابنا الماتريدية والأشاعرة وفرقة انتسبوا إلى الإمام أحمد ووافقوه فى الفروع وخالفوه فى بعض الأصول وقالوا بالجهة والجسمية وأحمد برئ منهم وأهل السنة والجماعة من الحنابلة لا يعدونهم منهم وقد قال تقى الدين بن تيمية فى المجالس الثلاثة لما قال له بعض المنازعين لا ريب أن الإمام أحمد إمام عظيم القدر ومن أكبر أئمة الإسلام لكن قد انتسب إليه أناس ابتدعوا أشياء ما نصه أما هذا فحق وليس هذا من خصائص أحمد بل ما من إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام هو برئ منهم قد انتسب إلى مالك أناس برئ منهم وانتسب إلى الشافعى أناس كذلك وانتسب إلى الإمام أبى حنيفة كذلك إلى أن قال وذكر فى كلامه يعنى المنازع أنه انتسب إلى أحمد أناس من الحشوية والمشبهة قال الشيخ فقلت المشبهة والمجسمة من غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم وكان من تمام الجواب أن الكرامية المجسمة كلهم حنفية قلت قد انتسب إلى إمامنا أبو على الجبائى وأصحابه ومحمد بن كرام وأصحابه وكان الأول يقول الفقه عندنا فقه أبى حنيفة والكلام كلام المعتزلة وكان بعض الكرامية يقول ما الفقه إلا فقه أبى حنيفة عندنا وما الدين إلا دين محمد بن كرام ونحن برآء إلى الله تعالى منهم وكان

عبد الجبار القاضى المعتزلى شافعيا فى الفروع والإمام الشافعى برئ منه وإذا علمت هذا كله فلنرجع إلى الكلام ونقول والمجسمة من الحنابلة لم يوافقوا المعتزلة فى شئ من أصولهم فإنهم يقولون بخلق القرآن ولم يقولوا بعدم جواز رؤية الله تعالى فى الآخرة إلى غير ذلك من أصول المعتزلة وإنما غيروا شيئا فى صفات الله تعالى وصرحوا بالتحديد ومعلوم عند أولي الألباب أن المعتزلة يكفرون المجسمة وبالعكس فكيف يقال قوم من المعتزلة سموا أنفسهم حنابلة فإن قال قائل إن هذا القول مبنى على اصطلاح المصريين فإنهم يسمون كل من خالف أهل السنة من أى فرقة كان معتزليا يقال له إن هذا الاصطلاح جديد مخالف لاصطلاح سائر المتكلمين فلا ينبغى ذكره فى الكتب الكلامية فتأمل .

فصل

وأهل السنة والجماعة من الحنابلة لا يسمون الأشاعرة ولا الماتريدية بل سموا أنفسهم أهل الأثر ولا بأس بذلك كما أن من كان من الحنفية قبل الإمام أبى منصور الماتريدى كمحمد بن سماعة ورستم وهشام وخصاف وهلال لا يسمى أحد منهم ماتريدية ولما جاء أبو منصور وناظر المعتزلة وغيرهم من أهل البدع وصنف الكتب فى التوحيد وملأها بالدلائل العقلية والنقلية فصار بذلك رئيس الأصحاب فكل من جاء بعده انتسب إليه وأما السادة الحنابلة فلما كان إمامهم يكره الرد على المبتدعة بالدلائل التى وضعها المتكلمون ولقد بالغ فيه حتى هجر الحارث مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال ويحك

ألست تحكى بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى الشبه فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث والصنعة تبعه جمهور أصحابه على ذلك فكانوا يردون على من خالف أهل السنة بالكتاب والسنة وأقوال السلف ولم يشتغلوا بعلم الكلام كاشتغال الأشاعرة والماتريدية ولم يتبعوا أحدا فى طريقته غير إمامهم وقد رأينا بحمد الله كتبهم فى التوحيد فلم نر شيئا يوجب القدح فيهم وليس بيننا وبينهم إلا اختلاف يسير وهذه عقيدة الموفق وعقيدة الشيخ عبد الباقي فى ديارنا فمن شاء فليجرب .

فصل فى ذكر وفاته

قال الحافظ أبو محمد بن البرزالى فى تاريخه وفى ليلة الإثنين من ذى القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفى الشيخ الإمام العلامة الحافظ الزاهد القدوة شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحرانى ثم الدمشقى بقلعة دمشق فى القاعة التى كان محبوسا فيها وحضر جمع كثير إلى القاعة فأذن لهم في الدخول وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصر على من يغسله ويعين على غسله فلما فرغ من ذلك وقد إجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى اللبادين إلى الفوارة وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام

وصلي عليه بجامع دمشق عقيب صلاة الظهر وحمل من باب البريد واشتد الزحام وقال قبل ذلك وكان دفنه وقت العصر أو قبله بيسير وذلك من كثرة من يأتي ويصلي من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم وغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور مع الترحم والدعاء وأنه لو قدر ما تخلف وحضر نساء كثير بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة غير اللاتي كن على الأسطحة الجميع يترحمن عليه ويبكين فيما قيل وأما الرجال فحزروا ستين ألفا إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتى ألف قال ولا شك أن جنازة الإمام أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة بسبب كثرة أهل البلد واجتماعهم لذلك وتعظيمهم له وأن الولاة كانت تحبه والشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله تعالى توفي ببلدة دمشق وأهلها لا يعشرون أهل بغداد حينئذ كثرة لكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعا لو جمعهم سلطان قاهر وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته وانتهوا إليها هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسا من جهة السلطان وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة مما تنفر منها طباع أهل الأديان فضلا عن أهل الإسلام وهذه كانت جنازته رحمة الله عليه (**قلت**) وبالجملة فلم يوجد في الإسلام من اجتمع فى جنازته لما مات ما اجتمع فى جنازة الشيخ تقى الدين بن تيمية غير الإمام أحمد كما أشار إليه الحافظ محمد بن أبى بكر بن ناصر فى كتابه الرد الوافر وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أنتم شهداء الله فى الأرض ورثاه الإمام زين الدين عمر بن الوردي رحمه الله فيما ذكره

شيخ الإسلام العيني بقصيدة منها قوله :

عثا فى عرضه قـــوم سـلاط   لهم فـي نثر جـوهره التقاط
تقى الدين أحمد خير حبر   خروق المعضلات به تخاط
توفى وهو محبوس فريد   وليس لـه من الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا   ملائكـة النعيـم به أحاطوا

ومنها :

وحبس الدر فى الأصداف فخر   وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشمى لـه اقتداء   فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا

ورثاه الحافظ أبو عبد الله الذهبى فيما ذكره الحافظ بن ناصر السنة الدمشقى بقوله :

ياموت خذ من أردت أو فدع   محوت رسم العلوم والورع

قال الشيخ الإمام عبد القادر بهاء الدين بن جلال الدين عبد الهادى العمرى الشافعى :

والقول بالحروف والأصوات   لكن قديمة مع الصفات
ليس كحرف أو كصوت قد بدا   من حادث حققه أهل الهدى
كأحمد وهو إليه يجنح   وصحبه لنقله قد صححوا
وقد ورد فى ذا من الأخبار   ما صح إسناداً لدى النظار
هذا قد أوردها البخارى   وغيره من عمدة الأحبار
والقول أنه عن الإمام   غير مصحح من الأوهام
هذا وفى مقالما اختلفت

فسائر الأصحاب عنه نقلت
وصحبه لبدعة من الردى

ونسبة الإمام أعنى أحمدا
ترجع للنقل عن الأوائل

وهذه من مشكل المسائل
بما أجاب صاحب التحقيق

أويجب المصير للتوفيق
علامة العصر بلا مخالف

ينقله عن صاحب المواقف
والأشعرى أراد هذا الثاني

من أن للمعنى مرادا ثاني
يشتمل اللفظ لذات المعني

ما قام بالذات وهذا المعنى
وهو لنا عن مشكل يقينا

وهو مراد الأشعرى يقينا
كلامه المحفوظ والمسطرا

فصل فى ذكر صفة الفوقية وما جاء في ذلك عن السلف والأئمة

قال عثمان بن سعيد الدرامى في النقض على المرسى وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سماواته (**قلت**) يعنى كما يليق به بلا تحيز ولا اتصال وقال الإمام أبو سليمان الخطابى فى كتابه شعار الإيمان أن إنكار الفوقية شئ سرقه المتأخرون عن الفلاسفة وفي ذلك رد لكتاب الله وسنة رسوله وقال الحافظ أبو مسعود أحمد بن محمد النخلي دخل ابن فورك على السلطان محمود بن سبكتكين فتناظرا يعنى في القرآن والصفات فقال ابن فورك لمحمود لا يجوز أن يوصف الله تعالى بالفوقية لأنه يلزمك أن تصفه بالتحتية لأن من جاز أن يكون فوق جاز أن يكون تحت فقال محمود ليس أنا وصفته بالفوقية فيلزمنى أن أصفه بالتحتية وإنما هو وصف نفسه بذلك قال

فبهت (**قلت**) وهذا جواب نفيس لأن الفوقية من باب المتشابه وحكم المتشابه وجوب الإيمان مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه وهذا معنى قول محمود ليس أنا وصفته وإنما هو وصف نفسه بذلك فوجب الإيمان بلا كيف وقد قال الإمام أبو محمد البغوى في التفسير وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء وأما أهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله تعالى ثم ذكر جواب مالك انتهى والاستواء والفوقية لله تعالى من باب واحد وقال الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة وأن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلي لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بلا كيف أحاط بكل شئ علما وليس كمثله شئ وهو السميع البصير . وقال ابن العربى فأما قول الله تعالى ثم استوى على العرش فروي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جلس على العرش بغير تكييف ولا تحديد وفي قوله جلس نظر فافهم . وقال أبو بكر الخلال أخبرنى عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى أنه سأل أبا عبد الله يعنى أحمد بن حنبل ما تقول فيمن قال أن الله تعالى ليس على العرش قال كلامهم كله يدور على الكفر انتهى قوله أن الله ليس على العرش أى أنكر صفة الاستواء قوله كلامهم أى كلام الجهمية قوله يدور على الكفر هذا اعتقاده في الجهمية وكان هذا مذهب جماعات من أئمة الحديث كما أشار إلى ذلك أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم عن أبيه وأبو زرعة ولفظهما أن الجهمية كفار والرافضة كفار انتهى . وقال أبو محمد قال الإمام أبو عبد الله بن حنبل رحمه الله تعالى ما فطر العباد إلا على ربهم في السماء

يعنى بلا كيف وبلا جهة وقال أحمد ابن حنبل حدثنا سريج بن النعمان حدثنا عبد الله بن نافع قال قال مالك الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان قال ابن القيم صحيح (**قلت**) أشار بقوله الله فى السماء إلى ما جاء في القرآن وأجروه على مذهب السلف مع نفى الجهة والجسمية والله أعلم ولا يلزم من قولنا أنّا نرى الله في جنة عدن أن نراه فى جهة فافهم فإن قلت ما نقلت عن الإمامين يشعر بإثبات الجهة وهو بدعة بلا ريب قلت يحمل كلامهما على رأى السلف وقد كانوا يقولون أمرّوها كما جاءت بلا كيف وقال الشيخ تقى الدين بن تيمية فى الأجوبة المصرية ولهذا تنوع أهل السنة في اسم الجهة وربما قال بعضهم ليس بجهة وذلك لأن هذا اللفظ بعينه ليس بمنصوص عن الشارع حتى يتفقوا عليه ومعناه محتمل فمن أثبته أراد به أنه فوق العرش يعنى بلا كيف ومن نفاه أراد به أنه ليس في نفس الخلق فلفظ الجهة فيه اشتراك وإجمال اهـ وحاصل كلامه أن الخلاف بين الفريقين لفظى وليس أحد منهم يعتقد التحيز والاتصال وأنه أى ابن تيمية لا يطلق لفظ الجهة لعدم وروده (**قلت**) وإثبات الجهة بدعة بلا شك ونقول كما قال السلف أمرّوها كما جاءت بلا كيف (**تنبيه**) قال الشيخ النفراوى المالكي في شرح الرسالة سئل الشيخ عز الدين عن هذا يعنى قوله فوق العرش هل يفهم منه القول بالجهة وهل يكفر معتقدها أم لا فأجاب بأن ظاهره القول بالجهة والأصح أن معتقدها لا يكفر قال النفراوى وما قاله المذكور يرده قول الإمام أبي عبد الله محمد بن مجاهد في رسالته مما أجمعوا على

إطلاقه أنه تعالى فوق سمواته علي عرشه دون أرضه إطلاقا شرعيا ولم يرد في الشرع أنه في الأرض فلذلك قال دون أرضه وهذا مع ثبوت علمهم باستحالة الجهة عليه تعالى قال النفراوى وحمل الفوقية في حقه تعالى على المعنوية مبنى على طريقة الخلف وهى المؤولة وعليها إمام الحرمين وجماعة كتأويل اليد بالقدوة وأما السلف فيقفون عن الخوض في معنى ذلك ويفوضون علم ذلك إلى البارئ سبحانه وتعالى قال النفراوى في موضع آخر قال العلامة ابن أبى شريف ومذهب السلف أسلم فهو أولى بالاتباع كما قال بعض المحققين ويكفيك فى الدلالة على أنه أولى بالاتباع ذهاب الأئمة الأربعة إليه اهـ وما ورد عن جماعة من المحدثين كابن تيمية والمزنى والذهبى مما يوهم الجهة فهو محمول على الطريقة السلفية إذ لم يقل أحد منهم بأنه سبحانه متحيز على العرش متصل به بل أطلقوا ما أطلقه الشرع مع اعتقاد التنزيه ونفى التشبيه كما مر بيانه نعم قد مال بعض المحدثين مع كونه من أهل السنة والجماعة إلى القول بالجهة مع اعتقاد التنزيه وقد أخطأ فى ذلك أشد الخطأ فليحذر . هذا ما تيسر جمعه فى صفة الفوقية وغالبه من كتاب الحافظ بن القيم والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

فصل

قد نسب بعض الحنابلة إلى القول بالتحديد كما أشار إليه الشيخ تاج الدين بن السبكى فى طبقاته في ترجمته البستى والحافظ بن حجر فى

اللسان في ترجمة المذكور وإنما نسبهم إلى ذلك من لم يفهم مرادهم وقد أزال عنهم هذا الإيهام ابن القيم رحمه الله تعالى حيث قال قال حرب الكرماني قلت لإسحاق على العرش يحد قال نعم يحد وذكر عن ابن المبارك قال هو على عرشه [1] بأن سألت يحيى بن عمار عن يحيى بن حبان البستي فقال نحن أخرجناه من سجستان أنكر لله الحد فقال له أبو جعفر الساركي الصوفي أبا حاتم أنت هو قال لا قال هو أنت قال لا قال فهذا يحد والسلام وقال أبو عبيد الله الحسن بن العباس الرستمي الفقيه وسألت هل يجوز أن يقال لله حد قال نعم يجوز ولله حد ونعني بذلك أنه متميز بذاته عن جميع الذوات فهذا التمييز قد عبروا عنه بعبارات أوضحها ما ذكرت وقد قالوا متباين بذاته عن جميع الذوات وهو قريب مما قلت والله أعلم (**قلت**) فمرادهم بالحد أن ذاته تبارك وتعالى لا تشبه الذوات ولم يريدوا به ما فهمه المنكرون والذي ينبغي القول به عدم الاستعمال لمثل هذا اللفظ وإن كان المعنى صحيحا لأنا كلنا نعتقد أنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير تمت بحمد الله وعونه والسلام على يد راقمها الحقير إلى الله عز وجل أبي الشرف محمد بن حسين عفا الله عنه.

---

(١) قوله بأن سألت إلخ هكذا بالأصل ولتحرر هذه العبارة .

تقريظ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى جعل أئمة الأخيار صيا [illegible] الأثر ورجاله . وحجج الله على خلقه فى أقوال النبى وأفعاله . فعرفونا من عبر القنطرة لحسن جلاله . وأودعوا لنا فى بطون الدفاتر المضبوطة ما يهتدي به المحصل في جميع أحواله . ونبذوا التعصب بالعراء وزيفوا سخيف قاله . ولبسوا حلة الإنصاف في القدح و التوثيق ففازوا برضاء الله الذى هو للعبد منتهى آماله والتمسوا المعاذير لمن عثر قلمه أو ساء فهمه أو غلط فى أمر كما أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ولم يبادروا بالإنكار من أول بادرة كما هى دأب المتهور فى أمثاله . فسلكوا الطريق المستقيم وفازوا بكماله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى طيب الله كل خلاله . القائل أقيلوا ذوى الهيآت عثراتهم فيالها من نصيحة فاز بها أهل جماله . وعلى آله وصحبه حماة بيضة الإسلام وأسود عرينه وجباله . (**وبعد**) فقد وقفت على هذا القول الجلى فى ترجمة تقى الدين بن تيمية الحنبلى فوجدته قولا جليا وصراطا سويا قد نبذ مؤلفه التعصب ظهريا فمن يهز نخلاته تساقط عليه رطبا جنيا ومن ضرب عنه كشحا يقول لمؤلفه لقد جئت شيئا فريا كلا لقد سلك مولانا صفى الدين ما يستعذبه العارفون ومحجته بيضاء نقية لا يعقلها إلا العالمون والخطأ فى ابن تيمية معلوم ولا ينجو منه إلا معصوم والشرعية وغيرها الموافق والمخالف ولا ينكر ذلك

إلا غبى أو جاهل أو حسود أو متعصب على حجر جمود واقف وقد أثنى عليه جمهور معاصريه وجمهور من تأخر عنه وكانوا خير مناصريه وهم ثقات صيارفة حفاظ عريفهم فى النقد دونه عريف عكاظ وطعن فيه بعض معاصريه بسبب أمور أشاعها مشيع لحظ نفسه أو لأجل المعاصرة التى لا ينجو من سمها إلا من قد كمل فى قدسه فخلف من بعدهم مقلدهم فى الطعن فتجاوز فيه الحد ورماه بعظائم موجبة للتعزير أو الحد ولو قال هذا المقلد كقول بعض السلف حين سئل عما جرى بين الإمام على ومعاوية فقالوا تلك دماء طهر الله منها سيوفنا أفلا نطهر منها ألسنتنا لنجا من هذا العناء وقول الآخر لما سئل عن ذلك فأجاب تلك أمة قد خلت الآية وهذا الإمام تصانيفه قد ملأت طباق الثرى واطلع عليه القاصى والداني من علماء الورى فما وجدوا فيها عقيدة زائغة ولا عن الحق رائغة كم سل السيوف الصوارم على فرق الضلال وكم رماهم بصواعق براهين محرقة كالجبال تنادى صحائفه البيضاء بعقيدة السلف ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف شهد له الأقران بالاجتهاد ومن منعه له فقد خرط بكفه شوك القتاد وما سوى العقائد نسبت إليه مسائل جزئية رأى فيها باجتهاده رأى بعض السلف لدليل واضح قام عنده فكيف يحل الطعن فيه بسهام الهدف وهذا محمد بن إسحاق قال فيه إمام دار الهجرة ذاك دجال من الدجاجلة ومع ذلك وثقه تلميذه الإمام المجتهد محمد بن إدريس وروى عنه حديث القلتين ووصفه بالدجاجلة يبق من الذم شيئا ولم يرمه أحد بكفر ولا زندقة ولا فسق وأمثال هذه القضية جرت في الأعصر الأول وبعدها مراراً وأشنع ما

نسب إليه منع الزيارة لقبور الأنبياء فهذه إن صحت عنه فلعله إنما منع شد الرحال إليها قصدا وأما الزيارة لتلك القبور المقدسة تبعاً فلا يصح نسبة المنع إليه كيف وهو مصرح باستحباب زيارة قبور آحاد المؤمنين ولله در الإمام حافظ الشام ابن ناصر حيث ألف في الذب عنه رسالة هي أمضى من السيف الباتر ولله در الحافظ بن حجر والحافظ الأسيوطي وأضرابهم من الأسود الكواسر قد شنوا الغارة على من طعن فيه فباءوا بالأجر الوافر أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده وثمة أشياء أخر أشيعت عنه وهي أكاذيب عنه وفرية وما فيها مرية وهي سنة الله في أحبابه وأما طعنه على بعض المشهورين من الصوفية فهو ليس بفريد في ذلك بل سلفه مثله وأعلى منه في تلك المسالك وما قصده مع أمثاله إلا الذب عن ظاهر الشريعة خوفا على ضعفاء الأمة من اعتقاد أمور شنيعة ومن كان هذا قصده يمدح ويثاب ولا يلام فكيف يزعم زاعم خروجه بذلك عن الإسلام هذا . وفصل الخطاب عند أولي الألباب إن معتقد طريق السلف علي غاية الصواب ومن أداه اجتهاده لدليل قام عنده في فرع فقهي بعد تبحره في العلم لا يلام عرضه ولا يعاب وإن خالف المذاهب الأربعة أو المذاهب المنقرضة الغير المتبعة والمقلد إذا التزم مذهبا لا يجوز له الطعن في رجل برع ونال رتبة الاجتهاد لينفق ذو سعة من سعته وليس الرافل في حلل المجد في غرف القصور كخادم الباب ورسالة مولانا صفي الدين هذه صاحبة القدح المعلى وهي قبلة أرباب التحقيق والمصلى هي من الضنائن إلا على جواهرها ثمينة لا يخطبها إلا رجل كفؤ لها ولمثلها ولقد كشفت نقاب حسنها في زمان لا تخط الخطاب مثلها ولا

يرشفون نهلها وعلها إذا تليت عليهم آياتهـا حاصوا كحيض الحمر وشنوا الغـارة عـلى عـرج الحـمـيـر وقـالـوا مـا سـمـعنا بهـذا فى آبـائنا الأولين واتخذوها هجراً وصمموا على النكير وماذاك إلا أصحـاب الصمم إلا النادر وقليل مـا هم فى هذا الزمـان الدائر والحـمـد لله وحـده وصلى الله على سيدنا مـحـمـد من لا نبى بـعده وعلى آله وصـحـبه أرباب النجـدة . كتب ارتجـالا عاجـلا والهم المتراكم قـدْ بلغ منى وجده الحـقيـر محـمد التافلانى مفتى الحنفية بالقدس الشريف حالاً .

تقريظ آخر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحـمـد لله الذى أبدع هذه الشـريعـة وأهلهـا وسـقـاهم من رحـيق شرابها علهـا ونهلها وقيض لهم من يذب عنهم ما إليـهم ينمى مما فيه حط مـقـام أو داهية دهمـا والصـلاة والسـلام على سـيـدنا مـحـمـد إمـام أهل الكمال الآمـر بإقالة عثرات ذوى الهـيآت من الرجال وعلى صحـبه الذين هم السـلف الصـالـح وعلى من اهـتـدى بهـديهم وسلك طريقـهـم الواضح (**أما بعد**) فـقـد اطلعت على هذا الجزء الشـريف وسـرحت طرفى فى رياض روضه المنيف فـرأيته بديعا فى بابه جـامعا لفـصل القول وخطابه مـعرفـا بسناء مقـام الشيخ شيخ الإسلام أحـد سلاطين المحـدثين الأعلام من أذعن لغزارة عـلمه الموافق والمخالف واعترف بتـحقيقـه وسعة إطلاعه من هو على مؤلفاته واقف الإمام ابن تيـمية أحمد تقى الدين وأنه ممن دان بسيـرة السلف الصـالحين منزه عن سـوء الاعتـقاد وزيغ العـقيـدة

سالكا لطريقة السلف الحميدة وإن ما يعزى إليه من بعض المخالفات فى الأصول والابتداع هو منه برئ كما يصرح به النقل من كلامه فى مشهور مؤلفاته الدال على أنه بموافقة أهل السنة حرى وما يعزى إليه من المخالفات فى بعض الفروع والطعن فى السادة الصوفية أولى الشأن العلى المعروف فذلك مما لا نوافقه عليه ولا نسلم شيئاً من ذلك إليه كما حقق جميع ذلك وحرره سيدنا مؤلف هذه الرسالة وأيد كلامه مقرظه سيدنا العلامة نور الجلالة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قاله وكتبه تراب أقدام أهل الحديث الشريف النبوى عبد الرحمن الشافعي الدمشقى الشهير بالكزبرى عفا الله عنه وختم له بالحسنى آمين هذا نقلته من خطه وعليه ختمه كتبه الفقير إلى الله تعالى السيد محمد وفا بن السيد وفا بن السيد محمد وفا بن السيد على وفا الوفائى كان الله له عونا ومعينا وحافظا وأمينا وختم له ولإخوانه والمسلمين بالإيمان والإسلام ولقاء ربه ولمصنفه وعفا الله عنهما آمين وكان الفراغ منه فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٣ الهجرية . قال سيدنا السيد الإمام والقدوة الهمام عين السادة الأعلام مولانا النواب صديق حسن خان كذا فى الأم المنقول عنها ولا تخلو عن سقم وغلط حرره صديق حسن القنوجي الحسينى البخارى فى سلخ ذى القعدة بمكة المشرفة على العجلة الشديدة بيده الضعيفة ومن الله القبول وبيده التوفيق فى سنة ١٢٨٥ الهجرية .

فهرس القول الجلى

الموضوع	الصفحة